محفوظ عبد الرحمن..
«صانع البهجة» من رحم الأحزان

جمال جبران*

بداية من أسامة أنور عكاشة(١٩٤١-٢٠١٠) وصولا إلي جهة محفوظ عبد الرحمن(١٩٤١-٢٠١٧)، نجح كاتب الدراما العربية في الصعود إلي الواجهة، بعدما كان نجوم التمثيل يحتكرونها، وتبقي صورهم بطاقة التعريف الوحيدة لتلك الأعمال. لقد كانت نقلة نوعية وحاسمة لافتة في تاريخ تلك الدراما، قبل أن تسقط في وحول هذه الأيام، حيث صارت الأسماء المجهولة تتصدر واجهة كل شيئ، في الحياة السياسية والثقافية علي حد سواء.

ان الحضور بأسماء كُتاب الدراما، قبل أن تظهر صورة المخرج المؤلف، أو ظاهرة تعريف الأعمال بأسماء مخرجيها. كأن يُقال» مسلسل للمخرج الفلاني» علي سياق ما حصل بداية مع الأفلام

---

* صحفي وكاتب من اليمن من مواليد اريتريا، حاصل علي ليسانس آداب لغة فرنسية، يعيش مابين صنعاء وبيروت. ويكتب في عدة صحف عربية ويمنية، نشر بجريدة الأخبار اللبنانية بتاريخ ١ سبتمبر ٢٠١٧.

obeikan.com

كالسينمائية في زمن يوسف شاهين أو صلاح أبو سيف ومن جاء بعدهما، داود عبد السيد وحتي رضوان الكاشف.

وإن كان الراحل الكبير أسامة أنور عكاشة قد انطلق في إنتاج الكتابة الدرامية من قاعدة شخصية تمس حياته وتجربته الناصرية، مشمولة بحجم الخسارات والنكبات التي حملها في قلبه وأعاد تحميلها لاحقا في سطور كتابته، فقد نجح محفوظ عبد الرحمن في تجاوز تلك النقاط(الناصرية)، وهو من الكبار الذين حملوا رايتها.

نجح في تجاوز الشخصي، والانتقال لتفكيك الحالة السياسية والاجتماعية علي نحو عام، ناطقا باسم كثيرين.لا يمكن في هذا السياق، إغفال الأعمال التي أنتجها عكاشة، وهي ترفع في غالبيتها نقطة الخسارات الشخصية المتتالية، خصوصا العاطفية، معكوسة علي مرآة المرحلة الناصرية. في المقابل، وعبر هذا كله يمكن النظر لمحفوظ عبد الرحمن، صانع «بوابة الحلواني»، الذي كتب مرة في سياق مسرحيته» ما أجملنا» (١٩٨٦) ما يشير إلي أن الإنسان»قادر علي احتمال الندم، لكنه غير قادر علي أن يسمع أخطاءه من شفاه الآخرين». من هنا يمكن السير في محاولة فهم كاتب فيلم « ناصر٥٦» ، وتلك الهواجس التي نجحت في كبح لذة الحكي علي وتر الندامة والأسي، والابتعاد عن الشخصي وانكسارات الذات من

خلال تركيز السرد علي نقطة الهم الجمعي، ولو جاء كنوع من التحايل، والقفز علي أوجاع الهزيمة والتوقف عند لحظة الانتصارات الناصرية. تأميم قناة السويس مثالا وعدم تجاوزها إلي حد مقاربة الهزيمة العربية في ١٩٦٧. ينسحب كل هذا علي أعمال تالية، كفيلم «حليم» ، ومسلسل»أم كلثوم» . النقاط المبهجة من داخل أطنان السواد والأحزان.

لا يعني هذا تلميحا علي إصرار محفوظ علي تلميع الماضي أو محاولة إظهاره علي غير الصورة التي كان عليها، بل علي العكس من ذلك ، إنها تلك الموهبة القادرة علي وضع أصابعها علي لحظات البهجة في قلب الزمن الفائت، وإعادة تقديمه علي نحو يمنح المتلقي نقطة نور تجعله قادرا علي رؤية الخطوات القادمة علي الطريق. كل هذا علي نحو مغاير أو مضاد لحقيقة ما جري.

يمكننا والحالة هذه، الكلام عن نقطة إضافية في حياة هذا السيناريست المصري، وهي ابتعاده عن الحديث عن الصورة النهائية التي ستظهر عليها أصول نصوصه السردية. كان يكتب فقط، وينتهي الأمر هنا. من ينظر إلي شكل الكتاب الأصلي الذي احتوي السيناريو الكامل لفيلم « ناصر ٥٦» ، وقد صدر عن «سلسلة آفاق السينما/ الهيئة العامة لقصور الثقافة» (٢٠١٢)، سيجد حجم التغيرات التي حصلت في شكل العمل علي نحو غير مطابق كليا

للفيلم، وكيف ظهر علي الشاشة. لم يتحدث محفوظ عن هذا الأمر مطلقا. كان يعلم أصول المهنة، وحقيقة تعامله مع مخرجين كبار لن يعبثوا بنصه الأصلي ، وإن حصلت تغييرات فستكون لصالح العمل لا ضده. لكن برحيل « صانع البهجة»، يبدو أن مصر العربية باتت تخلو، علي نحو تدريجي من الكبار.

لن نقول وداعا يا محفوظ عبد الرحمن.

obeikan.com